منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة الزمان للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

www.almadasupplements.com

العدد (6017) السنة الثالثة والعشرون - الأربعاء (29) تشرين الأول 2025

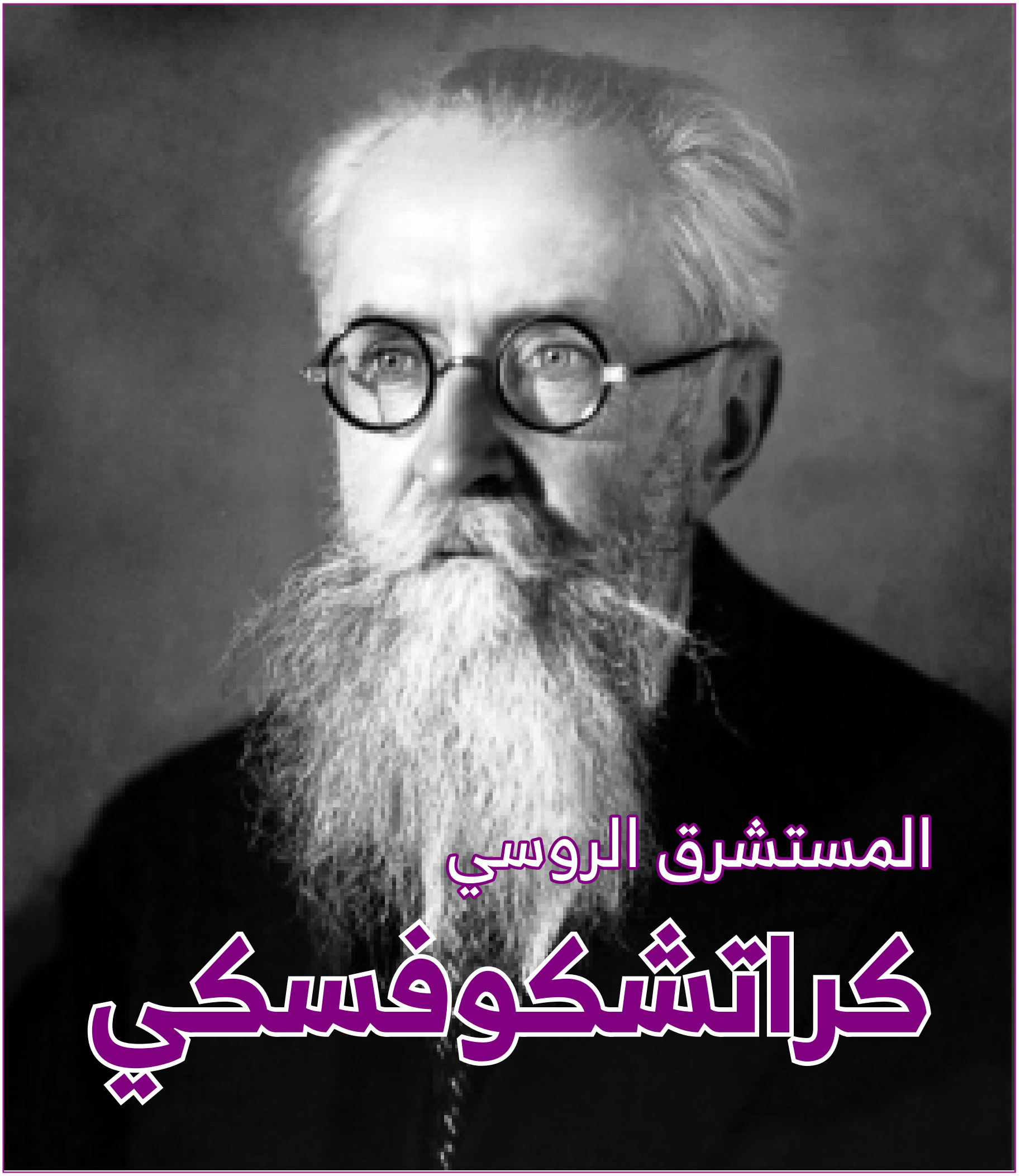

المستشرق الروسي

كراتشكوفسكي

من أعمال كراتشوفسكي

البديع عند العرب في القرن التاسع لإغناطيوس كراتشكوفسكي

ترجمة: محمد المعصراني

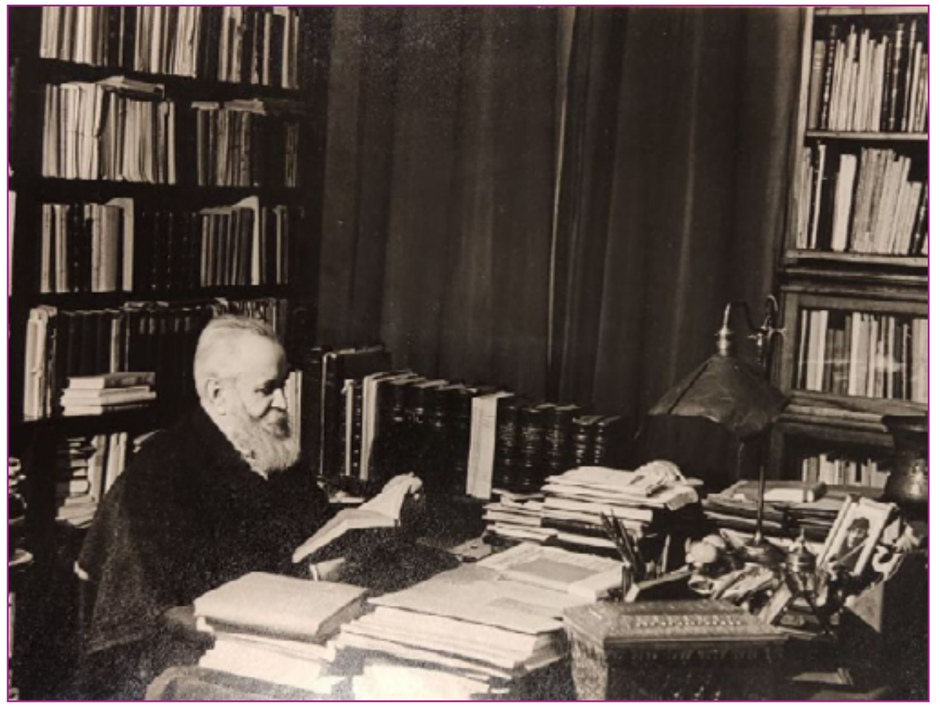

لم يُعالِج البديع عند العرب في القرن التاسع إلاّ مرةً واحدةً وذلك في مؤلفٍ دانيماركيٍّ. وها قد مضى أكثر من خمسٍ وأربعين سنّةً على نشر الأستاذ المساعد في كوبنهاغنَ أ. ميرين أثره الكبير الأول (البلاغة عند العرب)[٣٢] دون أن نستطيع حتى الآن أن نورد ذكر أثرٍ آخر مماثلٍ له حقًا. إن ميرين لم يستطع إعطاء صورةً عنْ التطور التأريخي لهذه البلاغة وكل المصادر التي اعتمد عليها في كتابه تعود إلى عصر انحطاط العلم العربي ولم يكن الوقت قد حان آنذاك لحل أي مسألة من المسائل المتصلة بنشوء البلاغة والبديع والعصر الذي نشأ فيه. ثم جاءت السنوات الأخيرة فحملت معها شيئًا جديدًا، وأتت الدراسة النظرية للبديع عمومًا إلى نشوء مدرستين في روسيا: الأولى مدرسة الكساندر فيسيلوفسكي التي تنحو منحًى تأريخيًا، والأخرى مدرسة أ. أ. بوتيبني التي هي أقرب إلى المنحى اللغوي السيكولوجي. وقد ألقت مؤلفات كوينغ، التي سار فيها على طريقة جديدة، الضوء على البديع في التوراة[٣٣] وأعطى ريكيندورف تحليلاً لبعض الألفاظ المجازية في اللغات السامية[٣٤]. وقد حاول أحد علماء العرب أخيرًا أن يتتبع تأريخ تطور النقد الأدبي عند العرب في خطوطه العامة[٣٥]. ثم إن المؤلفات التي تعتمد على التركيب من نوع الكتاب الذي يتمتع بشهرة عالمية نعني كتاب لارسون (Hans Larsson) "La logique de la poésie" (باريس ١٩٠٩) تُبين بمزيد من الجلاء مقدار تقدمنا عمّا في زمان ميرين في آرائنا النظرية. وإلى جانب المؤلفات النظرية الواسعة ظهرت في الشرق موادٌ جديدةٌ في البديع العربي ولكن كثيرًا مما نشر هناك لم يستعمل الطريقة الانتقادية. ولهذا فليس عندنا حتى الآن، باستثناء كتاب ميرين، نصٌ واحدٌ من هذا النوع عولج بروح انتقادية، ومع ذلك فإن هذه المواد الجديدة تسمح لنا بأن نقول – على سبيل الإشارة وإنْ لم يكن بالأمر النهائي – بوجود بعض الخطوط العامة في تأريخ نشوء البديع العربي وتأريخ العصر الذي نشأ فيه. وذلك هو هدفي الوحيد من حديثي هذا.

عُرفتْ في الأدب العالمي ثلاثة صروحٍ كبيرة من البديع، جميعها أصيل، وجميعها يستحق أنْ يُسمى بالكلاسيكي لما كان له من تأثيرٍ في دائرته الخاصة[٣٦] وقد أشرنا إليها في طيات البحثْ.

وبالنظر إلى هذا الانتشار وهذا النفوذ تكتسب مسألة أصالته أهمية خاصة: هل نشأ حقًا في دائرة لغته أم أنه انعكاسٌ من الانعكاساتِ العديدة للبديع الأرسطاطالي الكثيرة؟ إنه سؤالٌ يُسأل بحق. فنحن نعرف جيدًا أي تأثير خطير كان للعلم اليوناني في الحضارة العربية بمجموعها وخصوصًا في أوائل القرن التاسع. وكان السريانيون الوسطاء في ذلك في معظم الأحوال. ونعرف أن قواعد اللغة السريانية كلها والبلاغة السريانية كلها ترتقي بتمامها تقريبًا إلى أرسطاطاليس. ومعلومٌ أن بعض العلماء الآلمان استطاعوا في العقود الأخيرة أن يكتشفوا آثارًا للنفوذ اليوناني اللاتيني في نظرية الصرف والنحو العربيين[٣٧] وليس بين هذا والبديع إلاّ خطوةٌ واحدةٌ طبعًا. ولعل الهند أيضا فضلاً عن اليونان يجب أن نذكلها في دائرة استقصائنا. فقد تسرّب إلى الأدب العربي بوساطة الأدب الفارسي كثيرٌ من المواضيع الأدبية الهندية، وكان للطب الهندي كثيرٌ من الأنصار في بلاط خلفاء بغداد. ونعرف أسماء بعض الأطباء الهنود الذين انتقلوا إلى العاصمة بفضل البرامكة. ومع كل ذلك يجب أن ننفي تأثير الهند في البديع العربي. فنحن لا نستطيع تقرير الأطر الزمانية كما أن القليل مما وصل إلينا من الأقوال التي تعزى إلى الهنود في مجالي البلاغة والبديع يَترتّب عليناَ حتى الآنْ أن ننكر صحته[٣٨].

أما التأثير اليوناني فأجدر بالبحث. ومع أن هذه المسألة شديدة التعقّد إلاّ أن شرحها أكثر إمكانا بكثير لأن لدينا في هذه الناحية موادٌ أوسعْ. وسنرى في مُا يلي أن النتيجة هنا مماثلة. فالبديع اليوناني لم يؤثّر مباشرةً في نشوء البديع العربي وتطوره.

إن تأثير أرسطاطليس في العلم العربي معروفٌ جيدًا ولا يمكن أيضا أن ننكر أن بيانه وبديعه ومعانيه قد تُرجمتْ إلى اللغة العربية في عصور مبكرة. قد يكون ثمة خَلاَفٌ كبيرٌ في تعيين التواريخ الدّقيقة أو أسماء المترجمين ولكن مما لا شك فيه أن ترجمات عربية لهذه المؤلفات قد وجدتْ في القرن العاشر[٣٩] ولكننا لا نستطيع أن نجد في المؤلفات العربية التي تتناول البديع أي أثر لآراء أرسطو. فهذه المؤلفات تختلف جدًا عن مؤلفاتْ الفيلسوف اليوناني معنًى ومبنًى. وخير مثال يُساق هنا لتعزيز هذا الرأي الكاتب الشهير الجاحظ (ت٢٥٥هـ – ٨٦٩م)، فقد كان الجاحظ يعرف أرسطو خيرَ معرفة وكان يُسَمّيه بأبي المنطق ويذكره كثيرًا في مؤلفاتهْ خصوصًا في كتاب الحيوان[٤٠]. ولكن (أبا المنطق) هذا لا يُذكر مطلقًا تقريبًا إلاّ حجةً في علم الحيوان، لأن جميع أقواله استقيت من كتابه عن الحيوانات، بل يمكن الشك في مبلغ معرفة الجاحظ بسائر مؤلفات أرسطو[٤١]. لسنا نستطيع حتى الآن أن نقطع هذا الشك ولكننا نستطيع التأكيد بأن أرسطو لم يترك أي أثر في تطور تحليل الإبداع الشعري عند العرب. ولم يكنْ بديع أرسطو إلاّ حادثةً طارئةً في تأريخ البديع العربي. ولعل هذا يبدو لأول وهلة غريبًا بعض الشيء لما نعرفه عن منزلة أرسطو العظيمة عند العرب. ولكن هذا الاستغراب يزول عندما نعلم يقينًا أن قرّاءه شرّاحه كانوا جميعًا تقريبًا من الفلاسفة أو المتبحّرين بالعلوم الطبيعية. أما الباحثون في نظرية الأدب وتأريخه، وهم دائمًا اللغويون في أضيق معاني هذه الكلمة، فقد كانوا يتحاشون الخوض في ذلك. وإذا سرنا شوطًا أبعد في تتبع تأريخ بديع أرسطو عند العرب وجدنا شارحين شهيرين له هما ابن سينا وابن رشد. ومن المشكوك فيه أن يكون الأخير قد فهم فهمًا صحيحًا بديع أرسطو، ففي نقله الطليق لهذا البديع عَرَّف التراجيديا بأنها فن المديح والكوميديا (فن التقريع) وعلى هذا الأساس تصبح القصائد العربية في المديح تراجيديات والهجاء كوميديا[٤٢]. فإذا كان حتى الفلاسفة قد فهموا بديع أرسطو هذا الفهم فلا عجب أن رأينا الباحثين في نظرية الأدب ينفرون في كثير من الأحيان من البديع اليوناني. فهذا الجاحظ مثلاً يأتي على ذكر منطق أرسطو أحيانا ولكن بشيء من سخرية خفية فهو يقول: «ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قدّ وسِمَ بهذا الاسم لم قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب لما فهموا أكثره»[٤٣] (ولا أعرف هذا من قول صاحب المنطق... ولعل المترجم قد أساء في الإخبار عنه)[٤٤]. ويذهب أبعد من ذلك النظري المعروف ابن الأثير أخو المؤرخ الشهير. فهو يقول عن ابن سينا بسخرية لاذعة[٤٥]: «فإن ادّعيت أنّ هؤلاء تعلّموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك في الجواب هذا باطلٌ بي أنا فإني لم أعلم شيئا مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته... ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا ونساق الكلام إلى شيء ذكرَ لأبي عليّ بن سينا في الخطابة والشعر وذكر ضربًا من ضروب الشعر اليوناني يُسمّى اللاغوذيا وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبي عليٍّ ووقفني على ما ذكره فلمّا وقفت عليه استجهلته فإنه طوّل فيه وعَرَّض كأنه يخاطب بعض اليونان وكل الذي ذكره لغوٌ لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئًا».

عودة إلى "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" للمستشرق كراتشكوفسكي

إبراهيم العريس

كان من المعروف عن المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي أن أولى اهتماماته انصبت بخاصة على تاريخ الأدب العربي. ومع هذا يمكن لنا أن نجازف بالقول إن هذا الرجل لو لم يضع في حياته كلها سوى كتابه – الأقل شهرة في أوساط الدارسين العرب على أي حال – "تاريخ الأدب الجغرافي العربي"، لكان من شأن المنصفين أن يقولوا، عن حق، بأنه قد أسدى إلى التراث العربي واحدة من أروع الخدمات. فهذا الكتاب الضخم الذي قام بترجمته إلى العربية الأديب السوداني صلاح الدين عثمان هاشم قبل سنوات عديدة ويبدو غائبًا اليوم، يمكن النظر إليه باعتباره أفضل ما كتب، في هذا الموضوع، في اللغات كافة، لأنه من خلال استعراضه لما أطلق عليه اسم الأدب الجغرافي العربي، قدم موسوعة حقيقية دقيقة وعابقة بالمعلومات والسير، والتحليلات لواحد من فنون الكتابة التي شكلت جزءًا أساسيًا ليس من التراث العربي الإسلامي فحسب، لكن من الحضارة العربية ككل.

الكاتب يصف كتابه

تحدث كراتشكوفسكي بنفسه عن اشتغاله على هذا الكتاب قائلاً: "إن المكانة المرموقة التي تشغلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية لأمر مسلم به من الجميع في عصرنا هذا. وقد وضح بجلاء في الخمسين عامًا الأخيرة فضل العرب في تطوير جميع تلك العلوم التي اشتقت لنفسها طرقًا ومسالك جديدة في العصور الوسطى. ولا زالت حية إلى أيامنا هذه – أعني علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا – أما في ما يتعلق بالأدب الغني العالمي فإن العرب قد أسهموا فيه بنصيب وافر يمثل جزءًا أساسيًا من التراث العام للبشرية كما امتد تأثيرهم كذلك إلى عدد كبير من المصنفات والفنون الأدبية التي نشأت في بيئات غير عربية.

«وبالطبع ليس في وسع جميع الفنون المختلفة للأدب العربي الحافل أن تدعي لنفسها مكانة واحدة من حيث القيمة. والأهمية العلمية. وإذا كان بعضها مثل علم اللغة والعلوم الشرعية يمثل موضوعًا لدراسات المتخصصين، الأمر الذي لا يمنع بالطبع من أهمية استقراءاتهم في حالات معينة بالنسبة إلى النواحي العريضة في تاريخ الحضارة، إلا أن عددًا من فروع الأدب العربي قد اكتسب أهمية تجاوزت بكثير حدود اختصاصاته الضيقة... ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الأدب التاريخي والجغرافي العربي الذي اعترف العلماء به منذ عهد بعيد بأنه المصدر الأساسي والموثوق فيه في دراسة ماضي العالم الإسلامي. إذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها للمؤرخ والجغرافي فحسب، بل أيضًا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين والغويين وعلماء الطبيعة".

إغناطيوس كراتشكوفسكي (من الموقع الروسي الخاص بالمستشرق، الصورة تخضع لحقوق الملكية الفكرية)

جامع العلوم

مهما يكن فإن المؤلف ينطلق في كتابه بالبحث في الجغرافيا عند العرب قبل ظهور المصنفات الجغرافية، مستندًا بخاصة إلى الشعر الجاهلي وأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم راجعًا إلى "ما شحنت به كتب اللغة والتاريخ والأنساب والأدب القديم بأسماء المسالك والمفازات والصحاري والوديان والجبال والدارات والإحساء والحارات"... ولا يكتفي كراتشكوفسكي بتدوين معلومات العرب في الجغرافيا الوصفية لكنه يتعداها إلى الفلك والسماء والنجوم والأنواء وما كان للعرب في ذلك من أساطير وتجارب توارثوها جيلاً بعد جيل. وبنوا عليها كثيرًا من تصرفاتهم معتمدا في ذلك على أعمال المستشرق الإيطالي البارز نالينو الذي كان أستاذًا بالجامعة المصرية القديمة... وأخذ عنه أيام إقامته بالشرق العربي من أجل الدراسة والاطلاع على تراث العرب والإسلام. هكذا انطلاقًا من البحث في الجغرافيا في النصوص الجاهلية يغوص الكاتب في دراسة الكيفية التي تطورت بها في التراث العربي تباعًا، في صياغة اعتُمدت من بعده في عدد كبير من كتب لا تخفى دينها له واعتباره سفرًا مؤسسًا في مجاله.

هكذا نراه يدرس على التوالي بداية الجغرافيا الرياضية عند العرب ثم جغرافيي المدرسة اليونانية قبل أن يتحول إلى "الجغرافيين اللغويين" ورحالي القرن التاسع، لينتقل في فصل تال إلى الحديث عن المصنفات العامة في الجغرافيا في ذلك القرن ومن ثمّ إلى الجغرافيا الإقليمية في القرنين التاسع والعاشر، وصولا إلى المسعودي والرحالة الذين زاروا الأصقاع الشمالية ثم جغرافيي المدرسة الكلاسيكية في القرن العاشر وصولا إلى البيروني وزملائه من علماء الجغرافيا في القرن الحادي عشر في المشرق فالمغرب ليحط عند ياقوت وغيره من أبناء القرنين الثالث عشر والرابع عشر ما يقوده إلى "موسوعتي عصر المماليك" و"أسفار ابن بطوطة" وأخيرا إلى ابن خلدون الذي يفرد له عددًا كبيرًا من الصفحات مركزًا على ربطه، وأقرانه من جغرافيي القرنين الخامس عشر والسادس عشر، بين الجغرافيا والتاريخ بوصفهما كلاً لا يتجزأ.

الجغرافيا وشركاؤها

عبر مئات الصفحات التي تشغلها هذه الفصول أحيا المدينة محاصرة، ومعرضة بدون انقطاع لنيران المدفعية والقصف البري، فقام (كراتشكوفسكي) بعمل متفان في تدوين المخطوطات العربية الثمينة، المحفوظة في معاهد المدينة ومتاحفها ومكتباتها."

وحين رحل (كراتشكوفسكي) عام ١٩٥١م كان قد وضع في موسوعته (مع المخطوطات العربية)، دليل المستشرق الى النزاهة اقتضاه احترام الحقائق التاريخية وموجبات البحث الشاق في التفاصيل التي تبدو للآخرين على هيئة موجودات عارضة.

مأثرة كراتشكوفسكي

عبدالمنعم الأعسم

مرّت في مايو / أيار، هذا العام ٢٠٢٥، ثمانون عاماً على صدور موسوعة الباحث الروسي الراحل (أغناتي كراتشوفسكي)، الشهيرة (مع المخطوطات العربية)، التي صارت مرجعا لأجيال المستشرقين الروس، ووثيقة معرفية بارزة في المكتبة العربية، لم يستطع أدب التحقيق في المروث العربي أن يضاهي قيمتها ومكانتها.

وإذا عرفنا أن زمن صدور الموسوعة هو بداية النهاية للحرب العالمية الثانية، وأن مكان صدورها مدينة (بطرسبرج)، يوم كانت محاصرة بالجيوش، والهدف اليومي لغارات الطيران الألماني، فإنه يتعين حساب ما حققه (كراتشكوفسكي)، في إنقاذ (عيّنات) يلفها النسيان بمعايير أسطورية، أخذاً بالاعتبار تجربة الكاتب المثيرة في اختصاص التراث العربي وعملة المثابر بين المخطوطات والمكتبات والمدن العربية بحثاً عما لم يكن شائعاً، لا في بلاده ولا في بلاد العرب آنذاك.. يقول: "أرجو ألا ينظر إلى هذا الكتاب على أنه مذكرات شخصية للمؤلف.. فقد كتبت هنا عن المخطوطات العربية التي شاء الحظ أن أعثر عليها، التي لعبت دوراً كبيراً في حياتي".

وتتحدث (فيرا كراتشكوفسكايا) عن مأثرة والدها خلال حصار بطرسبرج شتاء عام ١٩٤١م: "كانت تضيف (كراتشكوفسكايا) قائلة: "من على ظهر الباخرة التي أقلتنه إلى بيروت، عزم والدي على الانتساب إلى اللغة العربية، وذلك من طفل بيروتي مسافر التقط من فمه ثماني مفردات، ظل يرددها.. وعلى نحو سريع أخذ يتكلم اللغة العربية مع المارة ومع استاذته، فيما بعد."

ومن بيروت إلى دمشق، إلى القاهرة، إلى القدس، تنقل المستشرق الشاب بحثاً عن كنوز من المخطوطات القديمة، فيما كان حريصاً على معايشة النماذج الشعبية عن قرب، فالتقى بنواطير الكروم وسوّاقي الدواب وماسحي الأحذية، وبالتلاميذ والمعلمين وشيوخ الريف ومشاهير الأزهر، وحاور رجال الصحافة والخطباء والواعظين والشعراء، وتأمل المنائر والانصاب والأدعية والشناشيل، ودخل في حلقات رواد الفكر، صديقاً لأمين الريحاني وجرجي زيدان واحمد تيمور وغيرهم.

كان (كراتشكوفسكي) يلاحق آثار الشاعر الدمشقي المجهول (الوأواء)، وفي غضون ذلك عثر مصادفة على مخطوطة منسية للشاعر سلامة بن جندل في إحدى مكتبات الإسكندرية، حيث خرج من رحلة البحث بستمائة دراسة علمية، شغلت نظرية وتاريخ الأدب العربي مساحة كبيرة منها .

وفي موسكو، التي عاد إليها في العقد الثالث من هذا القرن، أشرف على إصدار الطبعة الروسية لترجمة (ألف ليلة وليلة)، وقام بنفسه بترجمة (كليلة ودمنة)، وقصة (الأيام) لطه حسين، وعني بتأليف كتب مدرسية للغة العربية في مدارس الاتحاد السوفياتي، وشارك مع البروفيسور (بارانوف) في تأليف القاموس العربي – الروسي الأول، وقبل وفاته بثلاثة أعوام، أصدر الطبعة الثانية من موسوعته (مع المخطوطات العربية)، ويشير في تقديمه للموسوعة، إن الظروف أسعدته بالعثور في مكتبة (ليدن) على مخطوطة لـ (ابن العديم)، كتبت ببغداد في فبراير/ شباط ١٢٥٧، أي قبل عام فقط من غارة هولاكو على مدينة السلام.

المستشرق الروسي فروعاً متعددة من العلوم العربية تدور من حول الجغرافيا بما فيها أدب الرحلات وما أحاط به، بحيث قيل إنه لو لم يضع كراتشكوفسكي سوى هذا الكتاب لكفاه ذلك ليكون إماما بين المستشرقين. مع هذا لم يكن "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" الكتاب الوحيد الذي وضعه كراتشكوفسكي، بل كان جزءاً من عمل كبير امتد طوال حياة الرجل، نما بكل تواضع وبكل حب للحضارة العربية الإسلامية، بشكل يضع كراتشكوفسكي، من دون أدنى ريب، في مكانة على حدة بين المستشرقين. وهو عند رحيله عن عالمنا عام ١٩٥١ عن عمر يناهز الثمانية والستين، لم يلقَ على أي حال من العرب الذين أحبهم ما كان يستحق من تكريم، لأن العهد كان عهد الحرب الباردة، التي كان فيها الأميركيون يؤلبون العرب على كل ما هو سوفياتي، يستوي في ذلك السياسي والفكري، الثقافي والدعائي. ومن هنا ربط كراتشكوفسكي، عربياً، بعجلة السياسة الستالينية وقلّ المحتفون به، إلا في الأوساط العلمية العربية التي كانت عرفت كراتشكوفسكي عن كثب وعاصرته، بخاصة من خلال عضويته، التي كان يفاخر بها، في المجمع العلمي العربي. والحال أن كراتشكوفسكي كان قد وضع سيرته، مختصرة، بنفسه في مجلة ذلك المجمع منذ العام ١٩٢٧، حيث ذكر أنه ولد في العام ١٨٨٣ في فيلنا عاصمة لتوانيا، لكنه كان في الثانية من عمره حين رحل والده، واصطحبه معه إلى طشقند، حيث عين الوالد رئيساً لمدرسة المعلمين. وهكذا تفتح وعي كراتشكوفسكي باكراً على العالم الإسلامي من خلال جناحه الآسيوي فكان لتأثيرات تلك المنطقة "وقع شديد في نفسي أيام طفولتي، وأكبر ظني أني غدوت ميالاً إلى الشرق وإن كنت غير مدرك هذا الميل الغريزي" كما يخبرنا.

عن الاندبندنت

ترجم القرآن وألف ليلة وليلة والمعري والمتنبي والبحتري

شاكر نوري

في هذة المقالات التي ينشرها «البيان» على مدى أيام رمضان المبارك، يقدم مستشرقون، ذوو مكانة علمية، شهاداتهم في فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية الحديثة، في انتشارها من الأندلس غرباً إلى تخوم الصين شرقاً، حيث أسهمت بكنوزها في الطب والكيمياء والرياضيات والفيزياء في قدوم عصر النهضة، وما صحبه من إحياء للعلوم.

ينتسب هؤلاء المستشرقون إلى مدارس مختلفة، شرقاً وغرباً، عالجوا الحضارة العربية والإسلامية في أبهى تجلياتها من إعجاز القرآن الكريم إلى الآداب، ومن ثم إلى العلوم، ورؤوا في الإسلام ديناً متسامحاً وميداناً غزيراً للإبداع منذ عرف الغرب أكبر حركة ترجمة في التاريخ على امتداد قرنين، نقل فيها معظم التراث العربي وأمهات الكتب إلى لغاته، ما أتاح للثقافة العربية أن تدخل حضارة الغرب لتضيء الحياة الفكرية والعلمية.

لم يمنعه السجن أو مرض زوجته بالسل من مواصلة بحثه عن المخطوطات العربية وترجمة أشعار المعري وأبو العتاهية والمتنبي والبحتري إلى اللغة الروسية.

وكان أول من ترجم القرآن الكريم، ونشر في طبعة فنية من رقائق ذهبية ماثلة إلى يومنا هذا وأشرف على ترجمة ألف ليلة وليلة.وقام برحلات إلى العالم العربي من أجل الالتقاء بأدبائه ومثقفيه والاطلاع على مكتباته، بل وأصّر على تعلم اللهجة الشامية. ونشر تحقيقات عن المخطوطات العربية لا تزال محفوظة في أكاديمية العلوم الروسية في بطرسبورغ. يتفق الجميع على أن المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي هو مؤسس مدرسة الاستعراب الروسية حيث نشر نحو ٤٥٠ بحثاً ومقالة حيث بدأ اهتمامه بالآداب الشرقية منذ سنوات صباه الأولى، فانكب على تعلم اللغات الشرقية في الجامعة منها: اللغة العربية والفارسية والتركية والتترية.

وقد استغل فترة اعتقاله بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ لدراسة الأدب العربي والحضارة الإسلامية والنحو العربي، ومنها بدأ يسّود مقالاته. وبعد أن أطلق سراحه في عام ١٩٢٣، عاد إلى عمله في كلية الاستشراق ونال مرتبة الأستاذية والعضو في أكاديمية العلوم.

وعلى الرغم من وجود ترجمات عديدة للقرآن الكريم إلا أن معرفته بأسرار اللغة العربية جعله يكشف أخطاءها، ولهذا كرس نفسه لترجمته علمياً، بكل المعاني والتعابير والألفاظ الدقيقة المستوحاة من كتاب الله، حيث اعتبرها المستشرقون من أدق الترجمات قاطبة.كما أن اكتشافه للأخطاء الواقعة في ترجمة أشعار أبي العلاء المعري دفعه إلى ترجمة أشعاره وخاصة كتاب «رسالة الملائكة».

مع المخطوطات العربية

أمضى كراتشكوفسكي جلّ حياته الفكرية يعمل في حقل الدراسات العربية، اكتشافها، والبحث عن سيرتها التاريخية، والعمل على تحقيقها وإخراجها بالحلة الجديدة المقروءة. فإليه يعود الفضل في اكتشاف مخطوط «المنازل والديار» للأمير السوري أسامة بن منقذ. وكذلك مخطوط «رسالة الملائكة» لأبي العلاء المعري، وكذلك كتاب «البديع» لابن المعتز.

أما في مجال المؤلفات، فقدم كراتشكوفسكي عملاً في غاية الأهمية في حقل المخطوطات العربية، ألا وهو كتابه الشهير والأساسي«مع المخطوطات العربية» الذي يعتبر مسيرة ذاتية له، قدم فيه موقفاً شاملاً من الشخصية العربية والتراث العربي الإسلامي.

ويعتبر أول عالم أوروبي كتب عن الأدب العربي الحديث، إذ وضع دراسة بعنوان «الرواية التاريخية في الأدب العربي المعاصر» في عام ١٩٠٩، وصف فيها آثار أبرز ممثلي الاتجاهات الأدبية الحديثة: جرجي زيدان وجميل الزهاوي وأمين الريحاني ومحمد تيمور.

وقد تمرس في العمل الاستشراقي على يد أستاذه المؤرخ المعروف بارتولد، وسار على مبادئ ومناهج دراسة الأدب العربي التي تعلمها بشكل أكاديمي لا شك في علميته ونزاهته باعتراف الجميع. وقام أستاذه بوضع المصادر العربية والفارسية والتركية في التداول العلمي سواء في الجامعات أو في معاهد الاستشراق. وهي تعتبر اللبنات الأولى على طريق معرفة الأدب العربي والحضارة الإسلامية.

وفي مجال الريادة، قام بتحقيق كتاب «معجز أحمد» وضعه أبو العلاء المعري، يقع في ١٩٢٠ صفحة، شارحاً شعر أبو الطيب المتنبي. وشاع في وقتها أنه كتاب مفقود. وفي وقت لاحق، صدر عام ١٩٨٤ ضمن سلسلة ذخائر العرب في أربعة مجلدات. وكتب له المستشرق الروسي مقدمة اشتملت على معلومات مهمة، حول الفرق بينه وبين كتاب «اللامع العزيزي» الذي رتبه حسب القوافي. كما اختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه «ذكرى حبيب» وديوان البحتري وسماه «عبث الوليد».

رحلاته إلى بلدان الشرق

قبل أن يرحل إلى العالم العربي، التقى كما يذكر ذلك في كتابه «نبذة من تاريخ الاستعراب الروسي» أنه كان يلتقي بنخبة من المثقفين والأدباء العرب المغتربين في روسيا آنذاك، أي في القرن التاسع عشر.

وهؤلاء لعبوا دورا هاما في الاستعراب الروسي، من الدارسين في الجامعات الروسية أمثال: الشيخ عياد الطنطاوي وجورجي مرقص وفايز قلزة ومحمد عطايا وفضل الله صروف الدمشقي ورزق الله حسون اللذان عملا في جامعة سان بطرسبورغ.

كما عمل في روسيا الصحفي المصري محمد طلعت رئيس تحرير جريدة «التلميذ» الصادرة في القاهرة. ولا ننسى كلثوم عودة، فاسيلييفا التي أصبحت واحدة من أبرز المستعربين الروس من أصول عربية، وهي فلسطينية مسيحية تزوجت من ضابط روسي.

وبعد هذا التمهيد من العلاقات الثقافية مع العرب المغتربين في روسيا، قام برحلات إلى كل من مصر وسوريا وفلسطين وتركيا، فاطلع على خزائن كتبها، وتعرف إلى علمائها وأدبائها، وأبرزهم أمين الريحاني والشيخ محمد عبده والشيخ محمد كرد علي ولويس شيخو، وجرجي زيدان، وإسعاف النشاشيبي، وغيرهم.

وكتب عن أمين الريحاني بالروسية، وانتشر صيته في أوروبا عن طريق كتابات كراتشكوفسكي كما ذكر في كتابه «مخطوطات عربية». كما قام بتعريف الأدب العربي في القرن العشرين، وكتب العديد من المقالات عن طه حسين والأخوة تيمور وقاسم أمين وغيرهم.

واستمرت صلاته ببعضهم لأغراض البحث العلمي. وقد وصل إلى بيروت عام ١٩٠٨ في رحلة علمية اقترحها عليه أستاذه المستعرب روزين. وهناك التقى بالإضافة للمكفرين والأدباء العرب، بالمستعربين القادمين من أوربا الغربية أمثال المؤرخ البلجيكي «لامنس» والفرنسي «رونزفال» والإيطالي «نللينو» في أروقة جامعة القديس يوسف.

ونتيجة لعلاقاته الواسعة مع المفكرين والأدباء العرب والأوروبيين، بادر إلى تأسيس الروابط الأدبية ونشر المخطوطات والكتب العربية في روسيا، مثل تأسيس رابطة المستعربين الروس التي ترأسها، ليمد جسرا ثقافياً بين روسيا وبين العالم العربي والغربي على حد سواء. ومنذ البدايات الأولى، حرص على سلوك منهج مخالف للأوروبيين والغربيين في الاستشراق أي بالاعتماد على النصوص العربية الأصلية لا القيام بالترجمة عن لغات وسيطة.

مذكرات تلميذته

اتسم كراتشكوفسكي بروح انسانية ووداعة خاصة في علاقاته الاجتماعية، كما ذكرت تلميذته، أنا دولينينا، التي كتبت سيرته الذاتية تحت عنوان موح «سجين الواجب»، وهي ورثت كرسي الجامعة بعد وفاته، واعتبرته وريثاً لأستاذه المعروف روزين.

تميز المستشرق الروسي بروح موضوعية لا تؤثر عليه الإيديولوجية، لذلك لم يكن يلتزم بقوانين علم الجمال الماركسي اللينيني، وهي شجاعة نادرة في ذلك الزمان، إذ لم يكن من السهل السير ضد التيار في نظام شمولي كالنظام السوفييتي آنذاك. وقد ظهر وكأنه يغني خارج السرب. كما لم يخضع لتأثيرات دار نشر طلبت منه بمساعدها على نشر حملة مناهضة للدين الإسلامي، فسخر من طلبها، وقاوم إغراءاتها.

واشتهرت محاضراته بموضوعاتها الشيقة: الشعر حسب تعريف النقاد العرب للعصر الوسيط، الرواية التاريخية في الأدب العربي المعاصر، مدخل إلى دراسة الثقافة العربية، وعلم اللهجات العربية، وغيرها، ما كان يصب في جوهر الثقافة العربية.

وكان يطمح إلى إحاطة الأدب العربي بكل مضامينه واتجاهاته بعنايته، وخاصة فيما يتعلق ببراسة الأدب المسيحي العربي، ولكنه لم يتمكن من تحقيق ما هو مرجو. وفي الواقع، لم تبق أعمال شيخ المستعربين الروس، في الظل، على الرغم العقبات الكثيرة، قامت الجهات المسؤولة بإصدار أعماله الكاملة وبرعاية معهد الأدب العالمي التابع لأكاديمية العلوم الروسية في مجلدات مكرسة لمجموعة من المستشرقين، وهي عبارة عن سلسلة بعنوان «كلاسيكيي الإستشراق الوطني»، وتتضمن أعمال كرتشكوفسكي.

عن (البيان)

الخارجون عن النسق:

كراتشكوفسكي 1883 - 1951م .. لا بلاغة كبلاغة القرآن ولا تعبير كتعبير العربية

د.هاشم الموسوي

ان الاستشراق مؤسسة مرتبطة بأجندات كنسية لها مواقف متشنجة من الاسلام والعرب وعموم الامم ، وترجع اصول هذه المؤسسة الى الحروب الصليبية التي احيا اوارها الاستعمار الجديد بما يمتلك من قدرات تمويلية ودعائية وحربية بهدف السيطرة على العالم وارغامه على قبول الثقافة الاوربية الغربية كواقع حال من اجل مسخ ثقافة الشعوب ومحو اديانها وشرائعها تحت حجج ومسميات تقوم على عدم امتلاك هذه الشعوب قابلية ادارة شؤونها لانها تنتمي الى عالم قديم متخلف!!! ومع هذا فلا نعدم مستشرقين وقفوا بجانب الحقيقة حينما اكتشفوها كما هي، فراحوا يتخلون عن المؤسسة التي ينتمون لها ويعملون لصالح الحقيقة وإن عاشوا حياة العوز والكفاف

وإن منهم من لم يرتبط بمؤسسة استعمارية من الأصل، ولا سيما في علاقته مع البلاد العربية الاسلامية كما هو حال الاستشراقين الروسي والالماني مثلا، واللذين جاءت دراساتهما تتسم بالصدق والواقعية والتجرد عن النوازع والدوافع المسبقة. ويصدق هذا الكلام على المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ١٨٨٣ – ١٩٥١م

ويعد كراتشكوفسكي ١٨٨٣ – ١٩٥١م مؤسس مدرسة الاستعراب في الاستشراق الروسي حيث وضع منهج دراسة تأريخ الأدب العربي في مختلف الأمصار وكان أول من ترجم معاني القران الكريم الى الروسية من اللغة العربية مباشرة ترجمة علمية دقيقة. وما زال الدارسون يلجأون الى هذه الترجمة بالذات لدى التحقق من صحة ترجمة معاني بعض السور. وكتب كراتشكوفسكي حوالي ٤٥٠ بحثا ومقالة نشرت في مؤلفاته الكاملة.

ولد كراتشكوفسكي فيلنيوس الليتوانية وتوفي في ٢٤ يناير ١٩٥١ في لينينغراد الروسية ضمن عائلة لها وزنها في مجال الثقافة والتعليم. فقد كان ابوه يوليان فوميتش كراتشكوفسكي مديرا لمعهد التدريس في فيلنو. واظهر ابنه منذ نعومة اظفاره اهتماما بالثقافات الشرقية وأخذ بدراسة اللغات الشرقية بشكل مستقل. واستمر في هذا الاتجاه عندما دخل كلية اللغات الشرقية في جامعة سانت بطرسبورغ عام ١٩٠١. حيث تتلمذ على يد اساتذة وعلماء كبار في مجال الاستشراق والاستعراب والدراسات الإسلامية. وأنهى دراسته فيها عام ١٩٠٥ بتخصص في اللغة العربية والفارسية والتركية والتترية.

وحصل على ميدالية ذهبية لمقال كتبه عن الأدب العربي وهو طالب في الجامعة. بعدها جرى إرساله لمدة سنتين من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١٠ إلى كل من لبنان وسوريا وفلسطين ومصر. وقد لعبت هذه الرحلة العلمية دورا هائلا في حياته العلمية والشخصية اللاحقة. إذ تعرف هناك وأرتبط بعلاقات صداقة مع محمد كرد علي ولويس شيخو وجرجي زيدان وأمين الريحاني وغيرهم. وأخذ بالعمل في التدريس والتدرج العملي إلى أن حصل على لقب بروفيسور وهو أعلى لقب علمي من الممكن أن يصل إليه إنسان ما .

وتعرض أثناء رحلته العلمية الطويلة لدراسة الكثير من شعراء العربية الكبار كأشعار الشاعر العباسي العتاهية والمهري والمتنبي والبحتري باعمالهم في الغزل والهجاء والحماسة ، كما درس الرواية التاريخية العربية ونشرت تحت اشرافه الكثير من المخطوطات المتعلقة بالنثر العربي القديم، وبالقصص والحكايات الواقعية والخرافية التي صاغتها العقلية العربية عبر العصور، ولقد وقف كراتشكوفسكي معظم آثاره العلمية إن لم تقل كلها للآداب العربية وخدمتها وقد اهتم كراتشكوفسكي بالدرجة الأولى بالمخطوطات العربية والكشف عنها وتحقيقها فكان له الفضل في اكتشاف مخطوط (المنازل والديار) للأمير السوري أسامة بن منقذ وكذلك مخطوط (رسالة الملائكة) لأبي العلاء المعري وقام بنشر كتاب (البديع)، لابن المعتز.

وتجلى موقف كراتشكوفسكي من الحضارة العربية الإسلامية في كل ماكتب، وكتابه (مع المخطوطات العربية) يعتبر سيرة ذاتية له، إلا أننا نستطيع أن نعتبره الأثر الفني الذي قدم فيه بتنوع وغزارة مواقفه المختلفة تجاه العديد من القضايا المتعلقة بالشرق العربي الإسلامي، وأنه من خلال هذا الكتاب قدم موقفا شاملا من الشخصية العربية الإسلامية ومن الحضارة والتراث العربي الإسلامي.

إن كراتشكوفسكي من خلال المخطوطات لا يستعيد الماضي فقط، ولا يتعامل معه كحقبه ميته منقطعة عن الحاضر، وإنما يجعل الحياة تنبعث من ثنايا المخطوطات، كما تنبعث من شخصياتها، ضمن ظروفها التاريخية وفي تعامله مع هذه المخطوطات، ينبثق إحساس العالم العميق بالمسؤولية العلمية التاريخية التي تحتم عليه الموضوعية في التعامل مع التراث الإنساني بغض النظر عن جنس ودين مبدعي هذا التراث. يقول: (فما إن تتذكر هذه المخطوطات أو تهم بالحديث عنها، حتى تهب على الفور سلسلة من الأشخاص من القرون البعيدة الماضية، ومن الأعوام القريبة من حياتك الخاصة

إن كراتشكوفسكي في حديثه عن الشرق المعاصر، الشرق العربي المسلم، يقدم صورة تختلف اختلافاً كبيراً مما قدمه ورسمه الأوروبي الغربي، ففي نفس الوقت الذي تواجد فيه كراتشكوفسكي في مصر وسوريا ولبنان، كان هناك علماء غربيين مثل البلجيكي لامنس، والفرنسي رونزفال وغوتهيل، والإيطالي فيلينو، ومارك ليدزيارسكي، إلا أن الحديث عن شخصية الشرقي المسلم، وتقديمها إلى العالم اختلفت اختلافاً بيناً، بين هذا وأولئك، إذ غالباً كان المستشرقون الأوربيون الغربيون ينظرون إلى الشرق المسلم على أنه مكان للمغامرات والخيال الشرقي، وللمكان الغريب الذي قدموه على أنه مكان أحط قدرا وأقل شأنا من غيره من الأمكنة ولا سيما الأمكنة الأوربية

ولعل أوضح جهوده وأكبرها قيمة تتمثل في موقفه من البلاغة العربية وبلاغة القرآن، إذ يرى كراتشكوفسكي أن الدراسات البلاغية العربية ليست متأثرة بغيرها من الدراسات ولا بالمنهج الهندي أو اليوناني وهو الرأي الذي يذهب اليه معظم المستشرقين ومعظم الطلبة العرب المتأثرين بهم والدارسين تحت إشرافهم، فالبديع القرآني خصوصا والبديع العربي ليس له أصول مشابهة عند الأمم الأخرى وهو قيمة تعبيرية أفرزتها عبقرية العربية بوصفها نظاما لغويا عجيبا ومتكاملا وصالحا لكي يكون النموذج اللغوي الأمثل عالميا.

إن هذا التعامل الحيادي الذي جاءت عليه بحوث هذا المستشرق تنم عن عدالة ونزاهة علمية فهو لم ينظر للتراث العربي كغيره من المستشرقين على أنه تراث مقطوع عن الحاضر الذي هو امتداده الطبيعي، ولا إلى العربية على أنها لغة التعبير الميت والعبارات الجاهزة التي لا تتبدل، بل على أنها اللغة الحية التي تستمد نسغها من حياة القرآن ومن تعابيره الخالدة.

مجلة الروضة الحسينية

كراتشكوفسكي: الغريب الروسي عاشق المخطوطات العربية

محمد عبد العزيز

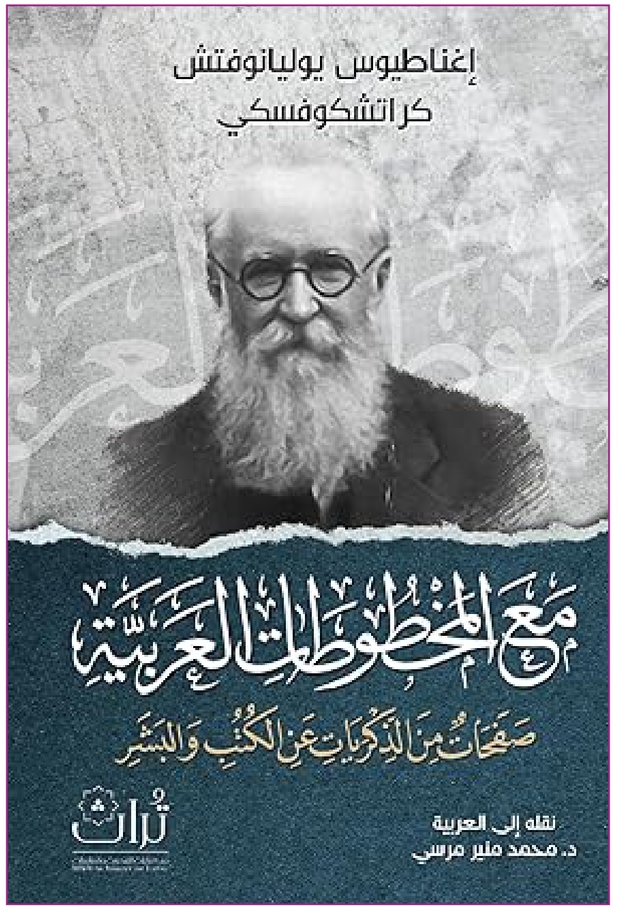

تعرّف المترجم محمد منير موسى على تراث الكاتب الروسي أغناتي كراتشكوفسكي (١٨٨٣-١٩٥١) أثناء عمله في التدريس في جامعات طاجيكستان في الاتحاد السوفيتي وقدم لنا ترجمة لذكريات هذا المستشرق الشهير إلى اللغة العربية.

يحكي لنا كراتشكوفسكي قصة ولعه بالمخطوطات العربية منذ دخوله المكتبة في بطرسبرج ومساعدة خازن المخطوطات له، وكيف شعر بجلال فارق الزمن وهو يمسك برق عمره ألف عام، ويشرح لنا بعض من قصص تلك المخطوطات، أنه يكاد يتغزل في المخطوطات وتعلقه بها، أنها تحيطه في ليالي السهاد ووقت المرض وحين يصاب بالحمى، وتقترب منه بتواضع وهي خائفة تسأله في استحياء ألم تنسنا؟ ألن تبتعد عنا؟ أتذكر كيف أعدتنا إلى الحياة؟ وبعضها على رقية صفراء يحمل حروفاً كوفية وبعضها على كتابة بطيئة لرهبان سيناء، وبعضها نسخ فاخرة من الورق الشمعي جلبت من مكتبات سلاطين المماليك، ونسخ أخرى فقيرة متواضعة.

نراه يتصفح مخطوطاً للإنجيل باللغة العربية وعليه اسم القيصر ألكسندر نيقولايفيتش، ومع التقصي الذي قام به علم أن هذا المخطوط إهداء من رزق الله حسون وهو قومي هاجر إلى روسيا، ولقد شعرت بالريبة من رزق الله حسون بعد ذكر الكاتب أنه صديق للمستشرق إدوارد هنري بالمر والذي قتله البدو وكان جاسوساً.

ثم نراه يقرأ عند بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" أن كمال الدين ابن العديم مؤلف "بغية الطلب في تاريخ حلب" لديه مخطوطة في مكتبة بطرسبرج فيسرع إلى أمين المخطوطات يسأله عنها وهو يشعر بالغيرة أن يعرف بروكلمان ما لديهم في روسيا من مخطوطات، لكنه يجد بروكلمان مخطئا في ذكر المخطوطة وأنه التبس عليه الأمر بين كمال الدين وهو خطاط وكمال الدين المؤرخ الحلبي المشهور، ويعود مستشرقنا إلى بيته وفي نفسه بعض الحسرة لأنه لم يحظ بمشاهدة خط ذلك المؤرخ، إلى أن يقابل كتابة بخط كمال الدين نفسه في مكتبة ليدن كتبها في بغداد عام ١٢٥٧م أي قبل عام من تدمير هولاكو لدار السلام.

ويشير كراتشكوفسكي إلى اكتشافه خطأ في فهارس أحد الكتب والتي صنفت أحد المخطوطات بأنها منسوبة للتبريزي لكنه بعد قراءة النص فهم أن الرسالة هي لأبي العلاء المعري نفسه حافظ عليها تلميذه، وهكذا قاده تصحيح هذا الخطأ إلى صاحبه أبي العلاء المعري الذي يصفه بأنه منحه السرور والمتعة في طريق الحياة

ويشير كراتشكوفسكي إلى اكتشافه خطأ في فهارس أحد الكتب والتي صنفت أحد المخطوطات بأنها منسوبة للتبريزي لكنه بعد قراءة النص فهم أن الرسالة هي لأبي العلاء المعري نفسه حافظ عليها تلميذه، وهكذا قاده تصحيح هذا الخطأ إلى صاحبه أبي العلاء المعري الذي يصفه بأنه منحه السرور والمتعة في طريق الحياة والذي صاحبته مؤلفاته في القاهرة وليدن وعلى شاطىء البحر الأسود.

يسافر كراتشكوفسكي إلى بيروت ليتعلم الحديث في العربية ولا تسعفه اللغة الفصحى فيسكن في قرية لبنانية ليتعود على لغة حديث الناس، ويشعر أهل القرية بالفضول من هذا الموسكوبي الذي يعيش بينهم ويحاولوا دعوته والحديث معه لكنه يشتري ولا يبيع، وطبعه يتميز بالانطواء وحب العزلة، ومن جديد شعر بالتعطش للكتب فهو يشعر بالحرية مع الكتب أكثر منه مع الناس، ثم ذهب مستشرقنا إلى جامعة القديس يوسف ووجد في جماعتها العلمية صحبة فهناك العديد من المستشرقين مثل المؤرخ لامنيس وروزنزفال باحث اللهجات العربية، وهناك شيخو الذي يسير بسرعة وعلى وجهه علامات البشاشة وهي يده مجلته المشرق.

وفي الطابق الأعلى من مبنى جامعة القديس يوسف، كان كراتشكوفسكي يقضي الساعات وراء طاولة صغيرة من الثامنة صباحا إلى الثامنة مساء، واضعاً قدميه على مقعد خشبي، إذ إن الأرض كان يلاطها من الحجر، وقد قضى هناك شتاءين، وهو يطالع المخطوطات.

وفي بيروت تعرف على أدب المهجر وتعرف على أمين الريحاني وكذلك محمد كرد علي قبل أن يكونوا مشهورين ومعروفين، وكان يقابل من يأتي من المستشرقين لبيروت مثل "نالينو" والذي تكونت صداقة بينهم

وفي بيروت تعرف على أدب المهجر وتعرف على أمين الريحاني وكذلك محمد كرد علي قبل أن يكونوا مشهورين ومعروفين، وكان يقابل من يأتي من المستشرقين لبيروت مثل "نالينو" والذي تكونت صداقة بينهم، وعندما زار مصر وقابل جورجي زيدان وتكلم أمامه باللهجة السورية ترقرقت الدموع في عيني جورجي من شعوره بالحنين لوطنه، نراه مقتنعا بالأفكار القومية والتي تدعو للانفصال عن العثمانيين فهكذا سمع من كثير من العرب، وكان ينشر في الصحف بتوقيع "الغريب الروسي».

ثم زار المكتبة الخديوية في القاهرة، ويحكي لنا عن مهنة انقرضت هي مهنة ناسخي المخطوطات، والذين ارتابوا منه في البداية وحسبوه يريد منافستهم في عملهم إلى أن أوضح لهم أنه باحث فقط ولا يعمل في النسخ، وقد ذهبت هذه المهنة بعد ظهور ماكينات التصوير الضوئي، ثم يزور مكتبة الأزهر ويطالع ما فيها من مخطوطات، أما المكتبة الثالثة في القاهرة فهي مكتبة أحمد تيمور باشا لكنه لم يستطع زيارتها بسبب سفر تيمور باشا خارج مصر، لكن الرسائل لم تنقطع بينهم خصوصا لنشر رسالة الملائكة للمعري، هكذا كان يتجول الغريب الروسي حتى يصل للمكتبة الخالدية في القدس، والمكتبة المتربولية المارونية في حلب، مثل النحلة التي لا تمل من شم زهور ورد المكتبات والمطبوعات.

وفي الإسكندرية يجد مخطوطة فيها شعر سلامة بن جندل وقام بنسخها وسافر إلى بيروت وهناك اكتشف أن شيخو سينشر ديوان سلامة بن جندل فسأله من مخطوطة الإسكندرية؟ فقال شيخو بل من مخطوطة إسطنبول فأخرج له كراتشكوفسكي نسخة من مخطوطة الإسكندرية وقابل شيخو بين النسختين واستفاد منها، وأخذ شيخو يفتح المخطوطة ويقول "شيء عجيب».

أما ذكاؤه في الحصول على المخطوطات فقد حاول أن يطلع على مخطوطات البطريرك غريغوريوس الرابع في دمشق وعندما أخذ يماطل في مشاركته، قال كراتشكوفسكي له أنه سيعود لموسكو ولن يكونوا مرتاحين عندما يقول لهم أنه رأى مخطوطات الجامع الأزهر وجامعة القديس يوسف في بيروت، ومجموعات الأسقفية المارونية في حلب، أما في دمشق فإن البطريرك صديق روسيا لم يطلعه على المخطوطات، وعندها أبلغه البطريرك بإمكانية الاطلاع على المخطوطات، لكن البطريرك الماكر سافر في اليوم التالي مما أغضب مستشرقنا وسافر لموسكو، ومن عجائب القدر أن البطريرك زار موسكو لحضور أحد احتفالات القيصر، وهناك أهدى لمكتبة القيصر أربعين مخطوطة كثير منها مهتم بالآداب المسيحي، واستطاع المستشرق الاطلاع على هذه المخطوطات بعد جهد في الحصول على إذن بدخول مكتبة القيصر عندما تكون العائلة خارج بطرسبرج، وفي هذه المخطوطات وجد كراتشكوفسكي كثيرا من المخطوطات التي تعب في البحث عنها والتفتيش عليها.

إن كراتشكوفسكي هو أول من اكتشف مخطوطة كتاب "المنازل والديار" للأمير أسامة بن منقذ، وهو كذلك من ترجم كتاب "كليلة ودمنة" إلى اللغة الروسية وترجم أيضا "الأيام" السيرة الذاتية لطه حسين، وأشرف على ترجمة وطباعة "ألف ليلة وليلة" إلى اللغة الروسية وعلى ترجمة القرآن الكريم.

لن تمل من حكايات الكاتب فهو يحكي قصص المخطوطات بشغف ويشعرك بأسرار تلك المهنة، كتب مستشرقنا هذا الكتاب "مع المخطوطات العربية" في موسكو وضواحيها، حيث انتقل لها بعد إصابته بمرض عضال وقت حصار لينينجراد، وكانت ذاكرته هي المعين الذي يكتب منه حيث كانت مكتبته بعيدة عنه، ولقد نبهنا في مقدمة الكتاب أن بعض الناس قد يروا في حديثه فيضاً من العاطفة والرومانتيكية، إلا أنه لا يخاف هذا اللوم: فهكذا عاش في عمله وهكذا كانت ذكرياته، وعلى مقبرته وضع شطر بيت لأبي العتاهية "الموت باب وكل الناس داخله».

موقع التلفزيون السوري

كراتشوفسكي والادب الجغرافي

192 пятнадцатая ночь

которой на куполе, и избавь людей от этого великого бедствия. И когда ты метнешь стрелу во всадника, он упадет в море, а лук его увидет около тебя, и тогда возьми лук и зарой его в том месте, где стоит конь. И когда ты это сделаешь, море выступит из берегов и поднимется и станет вровень с горой, и на нем появится челнок, в котором будет человек из меди, (не тот, которого ты сбросил), и он подъедет к тебе с веслом в руке. Скажи с ним и не произноси имени великого Аллаха, а он станет грести и проедет с тобою десять дней, пока не доставит тебя в Море Безопасности, а приблизив туда, ты найдешь кого набудь, кто тебя приведет в твою страну. И все это удастся тебе, если ты не назовешь имени Аллаха.—

И потом я пробудился от сна и с живостью встал и сделал так, как сказал мне голос и выстрелил во всадника и сбросил его в море и его лук упал возле меня, и я взял лук и зарыл его, и тогда море взволновалось и поднялось и встало вровень с горой и сравнялось со мною, и не прошло более минуты, как я увидел челнок посреди моря, который шел ко мне, и я воскликнул: — во имя Аллаха! Нет бога, кроме великого Аллаха. И когда челнок доплыл до меня, я увидел человека из меди, на груди которого была свинцовая доска с вырезанными на ней именами и заклинаниями, и я вошел в челнок молча, не говоря ничего. И человек греб первый день и другой и третий, до конца десяти дней, и я посмотрел и увидел Острова Безопасности, и тогда я сильно обрадовался и от большой радости помянул Аллаха и воскликнул: — во имя Аллаха! Нет бога, кроме

عـاطـف معتـمـد

كنت أنا ونفر من زملائي نكتفي من الكتاب بالفوز بمعرفة هجاء اسم المؤلف هجاءً صحيحًا، دون تلعثم أو تعثر، ندخل في مسابقات ضاحكة لمن ينطق اسمه دفعة واحدة: "إغناطيوس كراتشكوفسكي".

ومع أننا كنا نردد اسم "كراتشكوفسكي" باختلاف درجة النجاح في الهجاء، فإن اسم مترجم الكتاب "صلاح الدين عثمان هاشم" وقع في ظلم مرتين:

– مرة لأنه لم يكن جغرافيًا، ولم نقرأ له كتابًا آخر، ولا درسنا عنده، أو قرأنا له مرجعًا.

– ومرة لأنه كان أديبًا وباحثًا سودانيًا، ولم يترد اسمه لا في قاعات المحاضرات، عند أكابر العلماء المصريين، ولا في الأوساط الثقافية المصرية؛ ومن ثم لم يحصل على حقه في المديح والإطراء الذي يستحق لما قام به من دور عظيم في الترجمة الرائقة المنضبطة السلسة.

هذا الكتاب هو جزء من مجموعة أعمال المستشرق الروسي الكبير "كراتشكوفسكي"، الذي صدر عام ١٩٥٧، في أوج مجد الاتحاد السوفيتي، ونشر في المدينتين العاصمتين: موسكو ولينغراد، وتمكنت الجامعة العربية من تكليف المترجم بنقله إلى العربية. لم أنتبه آنذاك لتاريخ صدور الطبعة العربية، لكني أذكر أن المترجم ذيّل اسمه في نهاية مقدمته بعبارة: "الخرطوم، في عام ١٩٦١".

هذا أمر مدهش جدًا، ينقل المترجم عصارة فكر مستشرق كبير بعد ٣ سنوات فقط من صدور العمل الأصلي؟! انظر إلى التأخر الذي نحن فيه اليوم في ٢٠٢٤!

أود أن أعترف أن علاقتي بهذا الكتاب عاكستها في البداية استفهامات ثلاثة:

لماذا حمل الكتاب عنوان "تاريخ الأدب الجغرافي العربي"؟ هل الجغرافيا أدب؟!

لماذا نجح مستشرق روسي مثل كراتشكوفسكي في تقديم كل هذا الجهد العظيم عن عشرات الجغرافيين العرب، ولم يقم بذلك مؤلف عراقي، أو مصري، أو مغربي؟

كيف يمكن اقتناء هذا السفر الكبير وسعره مرتفع بالنسبة لنا نحن التلاميذ أصحاب الدخل المحدود؟

أما السؤال الأول فقد عرفت إجابته حينما تعلمت اللغة الروسية؛ ذلك لأن الكلمة التي جاءت في عنوان الكتاب هي تاريخ الـ"ليتراتورا"، التي نقلت إلى العربية "أدب"، والمقصود بها تاريخ "التراث المعرفي المنتج في فترات سابقة".

ولم يكن ذلك خطأ من المترجم؛ بل كان اختيارًا موفقًا أيضًا، فإلى اليوم إذا سألت الباحثين في علوم طبيعية، مثل الجيولوجيا أو الفيزياء، سيقولون لك: لا يمكن أن نبدأ دراسة جديدة إلا بمراجعة "الأدب السابق previous literature"، ويقصدون بذلك معرفة "الدراسات السابقة".

على هذا النحو قدم لنا كراتشكوفسكي الجغرافيا العربية بوصفها تراثا إنسانيًا عالميًا وليس درسًا في الأدب، أو في جغرافية الأدب، أو أدب الجغرافيا.

أما السؤال الثاني: لماذا تمكن مستشرق روسي من الإلمام والإحاطة بكل هذه المصادر العربية وهو بعيد قرب القطب الشمالي، ولم يفعل ذلك جغرافي عربي؟ فإجابته تتكشف بمعرفة الجوار الجغرافي لروسيا في القرون الثلاثة السابقة على تأليف الكتاب.

لقد خاضت روسيا حروبًا توسعية لضم كل الإمارات الإسلامية المستقلة من ممالك، وسلطنات، ودول عدة في التركستان (دول آسيا الوسطى الخمس حاليًا) والقوقاز (ثلاث دول) حتى انتهت جميعًا في العهد السوفيتي لتصبح جزءًا من الإمبراطورية الشيوعية العظمى.

من هذه الأقاليم الإسلامية أتى أعظم علماء الجغرافيا الإسلامية العربية في العصور الوسطى، ولا سيما من بلاد ما وراء النهر. ومعرفة البيئة التي نشأ فيها علماء الإسلام الناطقون بالعربية، وتطور نظامهم السياسي والحضاري، كانت مهمة مزدوجة للعلماء، أمثال كراتشكوفسكي من أصحاب الحس "الوطني" الساعي إلى تدعيم "الاستخبارات" الجغرافية القائمة على فهم التراث، والتاريخ، والثقافة، واللغة، والدبلوماسية، والعلاقات السياسية.

لقد توافر لكراتشكوفيسكي سبيلان لا يتوفران لنظيره من أبناء العرب:

مستودعات وأرشفة للمخطوطات التي جاءت من كل بلاد العالم ضمتها مراكز الاستشراق في الجامعات الكبرى في موسكو ولينغراد.

معرفة اللغات المحلية في هذه الأقاليم، فبالإضافة إلى العربية، كان المؤلف على دراية بالتركية، والفارسية، وبعض اللغات المحلية التي أمكن نقلها عبر وسطاء من أبناء الإقليم ضمن مسعى توحيد الجميع تحت غطاء "اللينغوا فرانكا" التي فازت فيها في انتصار نهائي اللغة الروسية، التي حلت محل اللغة العربية، أو الفارسية، أو التركية.

مجلة الشؤون العربية الاوراسية

manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة دار الصباح للاعلام والثقافة والفنون

كراتشكوفسكي والتراث العربي الاسلامي

د. أحمد ناصر الظالمي

كان الاستشراق الروسي في نظر الدارسين مبتعدًا عن الأهداف غير العلمية، أي الأهداف السياسية تحديدًا؛ لذا فإن بعض الدارسين لم يطلقوا عليه (الاستشراق) الروسي بل أطلقوا عليه (الاستعراب) الروسي، إذ تقول الدكتورة فاطمة عبدالفتاح: «إن الاستعراب الروسي لم يكن انتقائيًّا في تعامله مع المصادر والمخطوطات العربية وبما يوظف هذه الانتقائية لخدمة أهداف استعمارية»، بل إن المستشرقين الروس ولا سيما كراتشكوفسكي (١٨٨٣-١٩٥١)، يُعَدّون من أفضل أساتذة الاستشراق، وكان كراتشكوفسكي لا يحبذ مصطلح (الاستشراق الروسي)، ويرى الأفضل أن يكون (الاستعراب الروسي).

كراتشكوفسكي

نشأ كراتشكوفسكي في فلنا عاصمة ليتوانيا القديمة، فقد كان أبوه يوليان فومتش مديرًا لمعهد المعلمين فيها، ويقوم بتدريس بعض اللغات الأوربية، ثم سافر إلى طشقند وبقي فيها ثلاث سنوات (١٨٨٥-١٨٨٨) وانتدب مديرًا للمدرسة الاكليريكية، فدخَل كراتشكوفسكي المدرسة الإعدادية سنة ١٨٩٣ وتخرج في الإعدادية سنة ١٩٠١، وتُعدّ طشقند هي العاصمة الفكرية للمقاطعات الإسلامية التابعة لروسيا آنذاك، وقد أمضى إجناتي إغناطيوس كراتشكوفسكي طفولته في هذا الوسط الناطق باللغة الأوزبكية فتعلمها، وتركت الحياة في طشقند أثرًا عميقًا جدًا في نفسه.

أحبَّ اللغة العربية من خلال مطالعاته آنذاك، ثم التحق بقسم اللغات الشرقية في جامعة سان بطرسبورغ، فقد درس اللغة العبرية على كولوفكوف Kolovcov، واللغة الحبشية على تورائيف Turaev، ثم اشمدت Schmidt، كما حضر دروس زوكوفسكي Zukovshij في اللغتين الفارسية والتركية، ودرس تأريخ الشرق الإسلامي عند المؤرخ الروسي العظيم بارتولد، وعلم اللغة عند Melioranskj، وتأريخ الأدب العام عند فسلوفسكي، ومع أنطوان خشاب وهو لبناني من طرابلس وكان معيدًا للعربية، فتدرب كراتشكوفسكي على لغة التخاطب بلهجة شامية[.

أنجز رسالةً عن إدارة الخليفة المهدي، نال عنها وسامًا ذهبيًّا عام ١٩٠٥... ثم تم انتدابه أستاذًا، فعميدًا للكلية الشرقية. ثم أوفدته جامعته إلى الشرق من سنة ١٩٠٨ وحتى عام ١٩١٠، فطاف في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر مترددًا على خزانتها العلمية ومكتبتها، وكانت تلك السفرة بوصية من أستاذه روزن (الذي تُوفي في يناير سنة ١٩٠٨)، وقد ذهب كذلك إلى أوديسا (جنوبي روسيا) ومنها إلى إستانبول ثم أزمير وإلى سوريا ولبنان ومصر، وبقي في لبنان شتاءين كان يحضر دروسًا في كلية اليسوعيين، واستطاع أن يتقن التخاطب باللهجة اللبنانية، وأن يتابع قراءة الصحف المحلية وأن يطلع على الأدب العربي المعاصر لا سيما اللبناني منه، وتعرّف على أمين الريحاني، فترجم له في ما بعد مجلدين من أدبه إلى الروسية وتعرّف على الأب لويس شيخو وهنري لامنس اليسوعي وإلى المستشرق الأب رونزفال الذي كان يهتم باللهجات العامية العربية.

في عام ١٩١٤ رحل إلى ليبزج وهالسه ولندن لدراسة المخطوطات وبعد ذلك أشرف على القسم الشرقي في لينينغراد، وبعد ذلك أصبح عضوًا في مجمع العلوم الروسي خلفًا لأستاذه روزن عام ١٩٢١. وحصل على وسام لينين اعترافًا بفضله على الثقافة الروسية والعالمية في حفظ المكتبات أثناء حصار لينينغراد في الحرب العالمية الثانية إذ بقي في تلك المدينة وتحديدًا في المكتبة العامة أثناء العمليات العسكرية ولم يغادرها.

عند ذهابه إلى مصر كان يتردد على قسم المخطوطات في دار الكتب المصرية آنذاك، ويتردد كذلك إلى مكتبة الجامع الأزهر، وحصل على مخطوطة رسالة الملائكة، فأمضى عشرين عامًا في دراستها، حتى نشرها عام ١٩٣٢، ضمن منشورات المعهد الشرقي، ثم نشرها مرة أخرى محمد سليم الجندي في دمشق سنة ١٩٤٤، وهكذا اهتم كراتشكوفسكي بجمع مخطوطات المعري وكتب بحثًا عن (رسالة الغفران) للمعري ونشره في مجلة Islamica، الجزء الأول ص: ٣٤٤-٣٥٦.

وتقول المستشرقة الروسية ذات الأصل الفلسطيني كلثوم عودة فاسيليفيا أنها حضرت سنة ١٩١٦ مناقشة رسالة كراتشكوفسكي للماجستير في جامعة بترغراد، وكانت عن الوأواء الدمشقي، وحقق مخطوطة ديوانه وترجمه إلى الروسية مع التحليل والتعليق، مع مقدمة مهمة جدًا عن الشعر العربي وتأريخه وتطوره. ثم تطورت علاقته معها وعملا معًا في دراسة مؤلفات أغابيوس المنبجي، وبحث في ترجمات الكتاب المقدس إلى العربية التي تمت في عهد المأمون، وكتبَ مقدمة لكتابات كلثوم عودة فاسيليفا عندما جمعتها سنة ١٩٢٨، وكانت مقدمة شاملة وعميقة عن الأدب العربي الحديث خلال الربع الأول من القرن العشرين وتُرجِمَتْ هذه الدراسة إلى لغات عدة وأُعيد نشرها في (مَجموعة كراتشكوفسكي في الجزء الثالث ص٤٧- ٦٤). وكلثوم عودة فاسيليفا هي التي أشرفت على جمع وطباعة مجموعة كراتشكوفسكي في ستة مجلدات وصدرت عن أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفيتي في موسكو سنة ١٩٦٥ وترجمت كلثوم مجموعة من البحوث.

وعندما كان الأديب الروسي الكبير مكسيم غوركي مهتمًا بمشروع نشر الآداب العالمية، شارك كراتشكوفسكي ضمن هذا المشروع وترجم كتاب الاعتبار للأمير أسامة بن منقذ إلى اللغة الروسية.

ويبقى كراتشكوفسكي ينماز عن غيره بأنه أول مستشرق أوروبيٍّ يُعنى بالأدب العربي الحديث ولا سيما أدب المهجرِ الذي لم يشتهر آنذاك كثيرًا ولم ينل عنايةَ الباحثين عربًا ومستشرقين، بل كان أدبًا مجهولا، فترجم كما ذكرنا أدب أمين الريحاني إلى الروسية مع مقدمة مهمة تعطي القارئ الروسي صورة واضحة عن الريحانيِّ وأُعيد نشر هذه المقدمة في ما بعد في (مجموعة كراتشكوفسكي ٣/١٣٧ - ١٤٥) وخصّ الريحاني ببحث عنوانه (فيلسوف الفريكة) ونشره في كتابه مع المخطوطات العربية ص٩٧.

وكتب كراتشكوفسكي عام ١٩٢٨ دراسة مهمةً عن (الأدب العربي في أمريكا) نشرها في مجلة (أنباء جامعة لينينجراد سنة ١٩٢٨ الجزء الأول ص١-٧)، فكانت أول دراسة جدّية عن هذه المدرسة الأدبية. وكتب دراسةً عن ميخائيل نعيمة وأدبه (نُشرت في مجموعة كراتشكوفسكي ٣/٢٢٣-٢٢٨)، ودراسةً عن جبران (نُشرت في مجموعته ٣/٣٤٨-٣٥١).

الاستشراق الروسي

امتاز الاستشراق الروسي عن غيره من مدارس الاستشراق بدراسة الأدب العربي الحديث الذي لم تهتم به تلك المدارس التي اهتمت بالدراسات الإسلامية والقرآنية والنحوية واللغوية القديمة. فبعد ثورة سنة ١٩١٧، ازداد هذا الاهتمام، لأن مدرسة الاستشراق الروسي نظرت إلى الأدب الحديث على أنه أفضل مَنْ يمثل المجتمع العربي المعاصر وليس الأدب القديم وخاصة الأدب القصصي، وأنّ استعراض هذا الموضوع (أي دراسة الاستشراق الروسي للأدب العربي الحديث) موضوعٌ يطول الوقوف عليه، وقد كتب فيه الأستاذ نجدة فتحي صفوة، وإن لم يستوفه حقه، ولكن موضوعنا هو المستشرق كراتشكوفسكي تحديدًا، إذ كتب سنة ١٩١٩ مقالاً مهمًّا استعرض فيه علاقة الأدب العربي الحديث بالآداب القديمة وما ينماز به عليها، وكتب سلسلة دراسات عن:

١.جرجي زيدان (مجموعة كراتشكوفسكي ٣/٢٣٤-٢٣٧).

٢.مي زيادة (مجموعة كراتشكوفسكي ٣/٢٤٤-٢٤٦).

٣.الزهاوي (مجموعة كراتشكوفسكي ٣/٢٥١-٢٥٤).

٤.محمود تيمور (مجموعة كراتشكوفسكي ٣/٢٥٥-٢٦٠).

٥.توفيق الحكيم (مجموعة كراتشكوفسكي ٣ /٣٤٤-٣٤٧).

وكتب بحثًا عن الأدب العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين «نشره في مجلة فوستوك (أي الشرق) سنة ١٩٢٢ الجزء الأول ٦٧-٧٣».

وكتب كراتشكوفسكي دراسةً مهمةً عنوانها «درس الآداب العربية الحديثة مناهجه ومقاصده في الحاضر، نظرٌ واقتراحٌ» نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٣٠ المجلد ١٠ ص١٧-٢٨.

ويقول الدكتور نجدة فتحي صفوة: «طلب محرر الطبعة الدولية لدائرة المعارف الإسلامية في سنة ١٩٣٤ أن يكتب كراتشكوفسكي لها بحثا لمادة تأريخ الأدب العربي الحديث، فكتبه باللغة الألمانية، وكان أول بحث في موضوعه باللغات الأوروبية وفيه عيّن الظروف الزّمنية والجغرافية للأدب العربي الحديث واستشف الخطوط العامة لتطوره محللا شتى الأشكال الأدبية من شعر ورواية وقصة ومسرحية». ولكنني عندما رجعت إلى دائرة المعارف الإسلامية المُشار إليها، وبطبعتها المترجمة إلى العربية ذات الستة عشر مجلدًا لم أجد هذا البحث الذي ذكره الدكتور نجدة فتحي صفوة.

وبعد الحرب العالمية الثانية تطورت دراسات المستشرقين للأدب الحديث وكراتشكوفسكي منهم، إذ «نشر في عام ١٩٤٦ كراسا عن المدارس والاتجاهات الأدبية في البلدان العربية في القرن العشرين، وألقى في عام ١٩٤٧ محاضرة عن التيارات الحديثة في الأدب العربي في مصر، عرض فيها تلك التيارات حتى نهاية سنة ١٩٤٦ تقريبًا، وأشار إلى ظهور أدباء من الجيل الجديد في مصر يختلفون في آرائهم واتجاهاتهم عن كُتّاب الرعيل الأول، وعاد في سنة ١٩٤٩ إلى الموضوعات نفسها في مقدمته لكتاب كلثوم عودة فاسيليفا...، كما كتب تحليلا لشعر يوسف غصوب ومحمد مهدي الجواهري بمناسبة صدور مجموعتين من أشعارهما».

اهتم كراتشكوفسكي بكتابات طه حسين وبدراساته، فقد ترجم «إلى اللغة الروسية كتاب الأيام وعرّف القرّاء الروس بأدب هذا الكاتب العربي المعاصر، وقد نشرت هذه الترجمة في سنة ١٩٣٤ مع مقدمة عن المؤلف وتعليقات على الكتاب، وكتب بعد ذلك مقالًا في (جريدة موسكو المساء) واسعة الانتشار للتعريف بالأيام ومؤلفه، ودراسة أخرى بعنوان (طه حسين وروايته الأيام) نُشرت في مجموعته، ولعل هاتين الدراستين هما أول ما كتبَ عن هذا الأديب المعاصر الكبير وكتابه الخالد، ولكراتشكوفسكي دراسة أخرى عن طه حسين ناقش فيها آراءه المعروفة في الشعر الجاهلي وآراء نقّاده».

ولكراتشكوفسكي رأيٌ مهمٌ في كتابات طه حسين وعدّه متطرفًا ولذلك انتقده، ففي حوار خليل تقي الدين معه في بداية الخمسينيات عندما سأله «هل يصلكم شيءٌ من المؤلفات العربية الحديثة؟ فقال: يصلنا من مصر أكثر مما يصلنا من سوريا ولبنان وغيرها من البلاد العربية، وقد قرأتُ أخيرًا (وحي الصحراء) لمحمد حسين هيكل، وهو كتاب يُلفت النظر، وقرأتُ لطه حسين، وهو متطرف قليلا، اعتبِرُ أنّ جميع الشعراء كوضاح اليمن منحولين وأظنه متطرفًا في هذا لكن انتقاداته مليحة ونظراته طيبة».

تركيزنا على دراسة كراتشكوفسكي لطه حسين، ورأيه فيه، لنا فيها غاية سنعود إليها لاحقًا، وهكذا فنحن أمام مستشرق كتب أول دراساته عن الأدب العربي «سنة ١٩١١ في بحث مستفيض عن الرواية التأريخية في الأدب العربي المعاصر، وهو بحث نقديٌ تحليليٌ عن روايات جرجي زيدان ويعقوب صروف وفرح أنطوان وجميل نخلة وغيرهم، وقد تُرجِمَتْ هذه الدراسة إلى اللغة الألمانية سنة ١٩٣٠ بقلم جوهرد فون مندي، وَتَحدّثَ عن ذلك أنستاس ماري الكرملي في مجلته لغة العرب الجزء العاشر السنة الثامنة تشرين أول سنة ١٩٣٠ ص٧٩٧»[.

المركز الاسلامي للدراسات ـ العتبة العباسية المقدسة